



تفسير القرآن الكريم
سوريا - دمشق - مسجد عبد الغني النابلسي



تفسير سورة البقرة شرح الآيات 57-61

nooraldeen.com

05/06/2026

سورة البقرة - 11: شرح الآيات 57-61

(002) سورة البقرة

2026-06-05

سورية - دمشق

مسجد عبد الغني النابلسي

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين.
اللهم علّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علّمتنا وزدنا علماً وعملاً مُتَقَبَّلاً يا رب العالمين.
أيّها الإخوة الكرام: مع اللقاء العاشر من لقاءات سورة البقرة، ومع الآية السابعة والخمسين من السورة وهي قوله تعالى:

يَسْمِ اللّٰهُ الرَّحْمٰنَ الرَّحِيْمَ
وَوَهَبْنَا لَكُمْ اَلْعَمَامَ وَانَزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كُلُّوْا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُوْا وَلٰكِنْ كَانُوْا اَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُوْنَ (57)
(سورة البقرة)

فحوى قصة بني إسرائيل في سورة البقرة لتتعلّم من أخطائهم فلا تقع بها:

ما زالت الآيات تتحدّث عن نعم الله تعالى على بني إسرائيل، وما زالت الآيات تُعلّمنا ببني إسرائيل، تصف لنا حال قوم مع أنبيائهم، مع رُسُلهم، مع نعم الله عليهم، وكيف كان ردُّ فعلهم لتتعلّم من أخطائهم فلا تقع بما وقعوا به، هذا فحوى ذكر قصة بني إسرائيل في سورة البقرة، وقد أسلفنا أنها كانت من أول ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم بعد دخوله المدينة، فالمسلمون في طورٍ جديد، في طور اختلاطٍ ببقية الناس، بخلاف ما كانوا في مكة، هناك خزرج، وهناك أوس، وهناك نصارى، وهناك غير ذلك، وهناك يهود في المدينة، فكان لا بُدَّ من بيان الأمراض التي وقع بها بنو إسرائيل لتتعلّم منها.

الظِلُّ نِعْمَةٌ من نِعَم الله تعالى على الإنسان:

يُعَدِّد الله نعمه والآن من نعم الله تعالى على بني إسرائيل قال: (وَوَهَبْنَا لَكُمْ اَلْعَمَامَ) من نعم الله تعالى الظِّلُّ، الظِّلُّ نِعْمَةٌ من نعم الله تعالى على الإنسان، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا (45)

(سورة الفرقان)

وقال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْخَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ (81)

(سورة النحل)

الظلّ نعمة، يقول لك: مكانٌ ظليل يجلس به الإنسان فيستظلّ به من حرارة الشمس، وربما يقيه أحياناً من البرد، فالظلّ مهمٌ جداً، ورثنا جلّ جلاله يمتنّ على بني آدم بالظلّ، لأنه خلق لنا ظلالاً، وفي الجنة من وُتّه الله على عباده الظلّ، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالظِّلُّ مُمَدُّودٌ (30)

(سورة الواقعة)

قال صلى الله عليه وسلم:

{ إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلّها مائة عامٍ لا يقطعها وأفراوا إن شئتم وظلّ ممدودٍ وماءٍ مسكوبٍ }
(أخرجه البخاري والترمذي وأحمد)

أنت إذا كنت تمشي في الطريق، ووجدت أشجاراً عن اليمين وعن اليسار الساعة الثانية عشر ظهراً، وتكافئت الأشجار مع بعضها لمسافة مئة متر تقريباً تقول: ما شاء الله ما هذا الظلّ مئة متر! خمس دقائق لم أخرج منه، كما كان حال الغوطة من الشجر، يوم القيامة في الجنة شجرة (يسير الراكب في ظلّها مائة عامٍ لا يقطعها) قال تعالى: (وظلّ ممدودٍ) هذه من النعم، لكن من أعظم نعم الله عزّ وجل أن يُطلنا بظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه، ظلّ العرش، نسال الله تعالى أن يُطلنا بظلّه، وكما قال صلى الله عليه وسلم:

{ سبعة يُظلّهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه: الإمام العادل، وشابٌّ نسأ في عباده ربّه، ورجلٌ قلبه معلقٌ في المساجد، ورجلان تحابّا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجلٌ طلبه امرأة ذات منصبٍ وجمال، فقال: إني أخافُ الله، ورجلٌ صدّق، أخفى حتّى لا تعلم نيمائهُ ما تُنفقُ يمينه، ورجلٌ ذكر الله خالياً ففاضت عيناه }
(أخرجه البخاري ومسلم)

وكما قال أيضاً:

{ من أنظر معسراً أو وضع له، أظله الله يوم القيامة تحت ظلّ عرشه، يوم لا ظلّ إلا ظله }

(أخرجه البخاري ومسلم)

أي أمهله، قال له: والله ما معي أن أسدّ لك ديتك، أمهلني شهراً آخر، فأمهله قال له: معك شهر آخر، قال: (من أنظر معسراً أو وضع له) قال له: سامحتك بالنصف أو بالكل، قال: (أظله الله يوم القيامة تحت ظلّ عرشه، يوم لا ظلّ إلا ظله).

فهنالك ظلّ عند الله تعالى لا يعلم عظّمته إلا الله، هو ظلّ الله، إذا ظلّ الشجرة قلنا ما شاء الله منه عامٍ ما يقطعها الإنسان، فما بالك بظلّ الله؟! فما بالك أن نقف في ظلّه جلّ جلاله، ما هذا الظلّ العظيم؟!

{ تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق، حتى تكون منهم كمقدار ميل، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى

عقبه، ومنهم من يكون إلى ركبته، ومنهم من يكون إلى جفّويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً }

(أخرجه مسلم والطبراني والبيهقي والترمذي وأحمد)

فإذا أظلنا الله في ظلّه بعفونا، بتسامحنا، بـ (شأبُ تشأ في عبادة ربّه، ورجل قلبه معلق في المساجد)، (ورجل تصدّق، أخفى حتى لا تعلم شيئاً ما نفيق يمينه)، بإمام عادل، (ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه) كل هذه الأمور تجعل الإنسان في ظلّ الله.

معنى (وطللنا عليكم الغمام):

قال تعالى: (وطللنا عليكم الغمام) الغمام جمع غمامة، والغمامة هي السحاب الأبيض البارد الذي يغمّ السماء، ما معنى يغمّها؟ أي يستترها وبواربها، تنظر فلا ترى السماء لأنّ السحاب قد غمّتها، ومنه الغمّ، نقول: اللهم فارجّهم كاشف الغمّ، لأنّ الغمّ يسرّ القلب فيمتّع صلاحه، ويمتّع انتقاده، ويمتّع فرحه، يغمّه الغمّ، فالغمّ من الستر: (وطللنا عليكم الغمام).

(وأنزلنا عليكم المّنّ والسّلاوى) المّنّ في الأصل بمعنى المّنّ في اللغة: هو أن تأخذ شيئاً بغير مُقابل، أن يأتيك هكذا مِنّة، لذلك قال صلى الله عليه وسلم:

{ الكمأة من المّنّ، وماؤها شفاء العين }

(أخرجه البخاري ومسلم)

أي لا أحد يزرع الكمأة، يحفرون الأرض ويخرجونها فهي من المّنّ، عطاء من الله، هو كله عطاء من الله لكن أحياناً يجب أن تضع اليدرة وأن تسقى، وقد تقول لي فيها شيء، أي تعبّ عليها، أمّا مّنّ من الله عزّ وجل من غير سبب منك (الكمأة من المّنّ، وماؤها شفاء العين) كما قال صلى الله عليه وسلم، فالمّنّ هو العطاء الذي ليس له مُقابل، قال تعالى:

يَسْمِعُ اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ
فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَصَرِّبُوا الرِّقَابَ حَتَّىٰ إِذَا أَخِضُّوهُمُ فَنَشِدُوا الْوَيْثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَصَّعَ الْحَرْبُ
أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرْتُمْ مِنْهُمْ وَلَٰكِنْ لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ۖ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (4)

(سورة محمد)

(الوَيْثَاق) أي الأسر، أي إذا أردتم أن تمنّوا عليهم بعد الأسر، يمكن أن تمّنّ عليه بلا مُقابل، اذهب لا تُريد منك شيئاً، أو فداء، تُريد منك مالاً، تُريد منك أن تُعلم بعض المسلمين، تُريد في مُقابلك شيئاً ما (فإمّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً).

(وطللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المّنّ) المّنّ هو نبات يعرفه بعض الناس حتى الآن في العراق، من بعد طلوع الفجر وحتى طلوع الشمس ينزل على ورق الشجر مثل العسل، من غير أي جهد يذهبوا ويجمعوه من ورق الشجر، (والسّلاوى) هو طائر طعمه لذيق جداً، لحمه لذيق يُسمونه طائر السّلمان، هذا الطائر طعام، والمّنّ عسل كأنه شراب:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (69)

(سورة النحل)

مثل العسل، فقال: (وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى) اليوم هناك أكلاث لذيذة يُسمونها المَنَّ والسُلوى تأسيًا بهذا النص القرآني.

(كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) هذا أمر ليس للوجوب، هذا أمر للإباحة والامتنان، أي أباحه لهم وامتنن عليهم به.

(كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) أي لما أعرضوا عن الشكر، وأعرضوا عن ذكر الله عز وجل فيما وهبهم، لم يظلموا الله تعالى.

يظلم الإنسان نفسه حينما ينشغل بالنعمة عن المنعم:

إذا طبيب قال للمريض: خذ هذا الدواء، فصار كل يوم يلقي الدواء في القمامة ولا يأخذه، قال لك: أنا أظلم الطبيب، لا، أنت تظلم نفسك لأن المرض عندك يزداد (وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) فالإنسان عندما لا يشكر الله على نعمه لا يظلم ربه لأن الله تعالى عطاؤه بغير حساب.

{ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما روى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، أَنَّهُ قَالَ: يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ صَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكَسُونِي أَكْسِكُمْ، يَا عِبَادِي، إِنْتُكُمْ تُحْطِنُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي، إِنْتُكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا صَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا تَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَجْرَكُمْ وَإِسْكُكُمْ وَجَنَّتُكُمْ كَانُوا عَلَى أَنْفَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاجِدٍ مِنْكُمْ، مَا رَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَجْرَكُمْ وَإِسْكُكُمْ وَجَنَّتُكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاجِدٍ مَا تَقَصَّ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَجْرَكُمْ وَإِسْكُكُمْ وَجَنَّتُكُمْ قَامُوا فِي ضَعِيدٍ وَاجِدٍ فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا تَقَصَّ ذَلِكَ مَعًا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْحَرَّ، يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصَيْهَا لَكُمْ، ثُمَّ أَوْفَيْكُمْ بِهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ. وفي رواية: إِنِّي حَرَمْتُ عَلَى نَفْسِي الظُّلْمَ وَعَلَى عِبَادِي، فَلَا تَظَالَمُوا }

(أخرجه مسلم)

لكنه يظلم نفسه حينما يحجبها عن ربها، وحينما ينشغل بالنعمة عن المنعم (وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَتَرِذُ الْمُحْسِنِينَ (58)

(سورة البقرة)

أي وادكر يا محمد - صلى الله على سيدنا محمد - أو وادكروا إذ قلنا على لسان موسى، موسى هو قال لهم لكن بأمر الله تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ) القرية هي بيت المقدس، لأن الله تعالى قال في آية أخرى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (21)

(سورة المائدة)

فالقرية بإجماع المُفسِّرين هي بيت المقدس، ادخلوها أي ادخلوها للسكن، لقوله تعالى في سورة الأعراف:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرَ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَتَرِدُ
الْمُحْسِنِينَ (161)

(سورة الأعراف)

والسكن هو هدوء، فيه سكن فيه راحة، يسكن الإنسان في بيته فسُمِّيَ البيت سكناً، ويسكن الرجل مع زوجته فسُمِّيَت المرأة سكناً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (21)

(سورة الروم)

وتسكن مع زوجها فسُمِّيَ زوجها سكناً لها، والإنسان دائماً يسكن لشيء ينقصه، لذلك يجد في زوجته ما يكمل نقصه، وتجد فيه ما يكمل نقصها، فيسكن كل منهما للآخر، والبيت سكن لأنه يكون مُتعباً ينقصه الراحة والهدوء، فيدخل فيسكن في بيته، فادخلوها من أجل السكن والإقامة.

معنى القرية بالمصطلح القرآني:

ما هي القرية؟ بيت المقدس، ما معنى القرية؟ القرية في الأصل من القرى وهو التجمع، ومقرة الماء إذا تجمع الماء فيها، فالقرى الجمع، وسُمِّيَت القرية قرية لتجمع الناس فيها. بالمناسبة كلمة القرية وردت في كتاب الله في ستة وخمسين موضعاً، وجاءت على القرية الكبيرة والصغيرة، وعدد السكان الكبير والصغير، أي لم تتحدد بشيء، مكة كانت أكبر البلدان في جزيرة العرب في وقتها، حتى أنها أم القرى سماها الله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَبَّ فِيهِ قَرِيبٌ فِي الْجَنَّةِ وَقَرِيبٌ فِي السَّعِيرِ (7)

(سورة الشورى)

أيضاً سماها قرى مع أنها صغيرة الحجم، ومكة كبيرة، وسُمِّيَ مكة والطائف قريتين:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (31)

(سورة الأحزاب)

قرية مكة وقرية الطائف.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (82)

(سورة يوسف)

مصر وما أدراكم ما مصر؟ قرية. فالتجمع السكاني في اللغة يُسمى قرية، بالغرف الحديث يُسموا المكان الذي فيه تجمع سُكَّانٍ قليل قرية، والذي فيه تجمعُ حضري كبير مدينة، لكن بالمصطلح القرآني القرية هي المكان الذي يتجمع فيه الناس.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (20)

(سورة يس)

سمّاها مدينة هنا، لكن معظم التسمية القرآنية قرية لأنها مكان تجمع، القرى مكان التجمع، وقرى الضيف لأنهم يتجمعون عليه، يُقربهم، يُطعمهم منه. (فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا) أي المدينة مُباحة لكم بكل ما فيها، هنيئاً مريئاً (حَيْثُ شِئْتُمْ) في أوساطها، في أطرافها.

الإنسان بمواطن الضعف يسجد ويطلب المغفرة لكن بمواطن القوة قد يغفل عن الله:

(وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا) هنا أمر شرعي، أي أن يدخل من أحد أبواب المدينة المُقدَّسة ساجداً لله. (وَقُولُوا حِطَّةً) وحِطَّةٌ هذا خبر لمبتدئ محذوف، أي قولوا: سؤالنا أو دعاؤنا حِطَّةً يا ربّ، أي أن تخطّ عتاً خطايانا. الإنسان يا كرام بمواطن الضعف يسجد ويصّغ ويطلب المغفرة، لكن بمواطن القوة قد يغفل عن الله، لذلك قال تعالى لنبيّه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِذَا جَاءَ تَمْزُ اللَّهُ وَالْفُتُخُ (1) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (2) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (3)

(سورة النصر)

بهذا الوقت، بلحظة القوة.

فدخل النبي صلى الله عليه وسلم مكّة مُطأطئاً رأسه حتى كادت ذؤابة عمامته تُلامس عُنُقَ بعيه تواضعاً لله تعالى، ودخل جوف الكعبة فصلّى ثماني ركعاتٍ لله تعالى. (إِذَا جَاءَ تَمْزُ اللَّهُ وَالْفُتُخُ (1) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا) في هذه اللحظة التي قد يعتري الإنسان فيها شيءٌ من الكبر، أو شيءٌ من أُنِّي فعلت، أنا تفوقت، أنا نجحت، أنا أخذت الامتحان، أنا بنيت الدار، أنا انتهيت، في هذه اللحظة ينبغي أن تنتبه إلى قلبك، إياك أن تُصيِّبك شيءٌ من الكبر، فالإنسان يخاف على قلبه في مواطن التفوّق أكثر ممّا يخاف في مواطن الضعف، لأنه بالضعف كلنا نفتقر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ (6) أَلَمْ يَرَأْهُ اسْتَغْفِرْ (7)

(سورة العلق)

عندما يظنُّ نفسه مُستغنياً يطغى، فلذلك قال: (وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا) فُتِحت المدينة وأباحها الله لكم، كيف ندخلها؟ قال: (سُجَّدًا) خاضعين، مُتذللين لله، سائلين الله المغفرة من نزوات الكبر، من نزوات العُنفية، من نزوات والعباد بالله الانتقام أحياناً.

(وَقُولُوا حِطَّةً) يا ربّ اغفر لنا خطايانا، خطّ عتاً خطايانا، جواب الشرط: (تَعَفَّرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ)، خطايا جمع خطيئة، والخطيئة تُجمع على خطيئاتٍ، كما جاء في سورة الأعراف قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّعْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَتَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (161)
(سورة الأعراف)

وهنا قال: (نَعْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ) فهما جمعان (نَعْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ) إن طلبتم من الله المغفرة عَفَرَ لكم.
قال: (وَسَتَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ) أي سنزيد من يُحْسِن في العمل فوق غفران الخطايا ثواباً ورفعاً للدرجات.

الإنسان بطبيعته يُحب الزيادة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْخُسَىٰ وَزِيَادَهُ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذُلٌّ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (26)
(سورة يونس)

الإنسان بطبيعته يُحب الزيادة، ما هي الزيادة؟ النظر إلى وجهه الكريم، والله الزيادة أحلى من الخسنى، النظر إلى وجهه الكريم هي زيادة لكنها جميلة جداً ورائعة (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْخُسَىٰ وَزِيَادَهُ) هنا قال: (وَسَتَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ) سنزيدهم عطاءً، سنزيدهم قرباً، سنزيدهم مودةً (وَسَتَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ يَمَّا كَانُوا يَفْسُقُونَ (59)
(سورة البقرة)

إذا احتملت الكلمة معنيين فدعها وانتقل إلى كلمة لا تحتل إلا معنى واحداً:
عَبَّرُوا وبدَّلُوا، قال لهم: (فَوَلُّوا حِطَّةً) فدخلوا فقالوا: حِطَّة، كما ورد في بعض الروايات:

{ قِيلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا، وَقُولُوا حِطَّةً فَبَدَّلُوا، فَدَخَلُوا يَرْحَفُونَ عَلَىٰ أَسْطَاهِهِمْ، وَقَالُوا: حَبَّةٌ فِي شَعِيرَةٍ {
(أخرجه البخاري ومسلم)

ورُبُّنَا وَصَفَهُم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لِبِئْسَ لِسَانٍ لِّكَاذِبِينَ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (46)
(سورة النساء)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا ۖ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (104)

(سورة البقرة)

لأنه في لغة اليهود لها معنى آخر، فصاروا يقولونها للنبي صلى الله عليه وسلم يعنون بها لغتهم، فإذا احتملت الكلمة معنيين فدعها وانتقل إلى كلمة لا تحتمل إلا معنى واحداً. لقاً سيدنا عمر رضي الله عنه كان يتفقد رعيته ليلاً، وجد قوماً قد أشعلوا ناراً، قال: السلام عليكم يا أهل الصوء، قال حاجبه: وكّره أن يقول يا أهل النار، هنا لغة صحيحة، لكن تفهم على معنى آخر، فإذا احتملت الكلمة معنيين فدعها وانتقل إلى كلمة تحتمل معنى واحداً.

المؤمن يحاول في عبارته أن يجعل الرسالة والعبارة متحدتان معاً:

كثير من مشاكلنا مشكلتها أنّ الإنسان يقول شيئاً فيصل إلى الآخرين بطريقة أخرى غير التي أرادها، والإنسان دائماً با كرام، عنده في كلامه عبارة وعنده رسالة، والعبارة قد تكون شيئاً والرسالة قد تكون شيئاً آخر، وبلغتنا نحن أهل الشام عندنا منها كثيراً، فممكّن أن يقول له: هل رأيت ما حدث يا فهم؟ وهو لا يقصد فهم بل عكسها تماماً، لكن يقول له يا فهم، فالعبارة يا فهم والرسالة والعباد بالله.

أو يقول له: ما شاء الله حولك، هي جميلة جداً ما شاء الله حولك، وهو يقول له: هذا الذي رأيته؟! فأحياناً الرسالة غير العبارة، والمؤمن يحاول في عبارته أن يجعل الرسالة والعبارة متحدتان معاً.

يذكروا في علوم الإدارة، أنّ المدير كان جالساً خلف مكتبه، فدخل إليه أحد الموظفين وقال له: أنا عملي مُتعب جداً، وأنا منزعج جداً، وأنا وأنا...، فقال له: والله يجب أن تصير العمل صعب، فخرج الرجل، وفي اليوم الثاني دخل وقال له: زملائي في العمل يزعمونني ويُصافقونني ويُعيقونني عن العمل، فقال له: يجب أن تصير ما عندي حل، فكان هناك رجل جالس أمامه، قال له: إذا دخل عدو وشكى لك عن عمله فقل له: الآن لا أستطيع أن أزيد لك في الراتب شيئاً، هذا هو الراتب الذي عندي، فدخل الرجل وقال له: أمس هناك موظف أزعجني جداً وصافقني، فقال له: والله هذا هو الراتب الذي عندي، فخرج ولم يعد يأتي، بمعنى أنّ الرجل كانت عبارته أنه منزعج من ضغط العمل، وكانت رسالته أنّ الراتب غير كافٍ، والمدير ما عنده إمكانية للزيادة، فلما أجابه على الرسالة انتهت المشكلة.

مهمة الداعية أو المُربي أن يفهم الرسالة من العبارة:

كثير من المشكلات أحياناً بين الزوجين مثلاً، يكون العبارة شيء والرسالة شيء آخر، مهمة الداعية أو المُربي أن يفهم الرسالة من العبارة.

{ آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أمّ الدرداء مُتَبَدِّلَةً،

فقال: ما شأنكِ مُتَبَدِّلَةً؟! قالت: إنّ أخاك أبا الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، قال: فلما جاء أبو الدرداء، فَرَّبَ إليه طعاماً، فقال:

كُلْ، فأبى صائمه، قال: ما أنا بأكلي حتى تأكل، قال: فأكل، فلما كان الليل، ذهب أبو الدرداء ليقوم، فقال له سلمان: تم، فنام، ثم ذهب يقوم،

فقال له: تم، فنام، فلما كان عند الصُبح، قال له سلمان: فم الآن، فقاماً فصلباً، فقال: إنّ لتفسيك عليك حقاً، ولتركك عليك حقاً، ولصيفك عليك

حقاً، وإنّ لأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه، فأبى النبي صلى الله عليه وسلم، فذكر ذلك، فقال له: صدق سلمان {

(أخرجه البخاري ومسلم)

في حالة أخرى قالت: أنه صوّام قوام، هنا أدب عال جداً، صوّام قوام، لكن صوّام قوام هنا هي تتكلم عن قصة ثانية، الرسالة أنه هو غير مُهتم بزوجه نهائياً، لكن العبارة صوّام قوام، ففهم، فأبى به صلى الله عليه وسلم، صوّام قوام ليس المقصود أنه يُكثر الصيام والقيام، المقصود أنه لا يلتفت لزوجه ولا لحاجاتها، فهناك رسالة وهناك عبارة دائماً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَبَّلَ الَّذِينَ طَلَعُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ طَلَعُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ يَمَّا كَانُوا يَفْسُقُونَ (59)

(سورة البقرة)

فرق المعنى بين الرجز والرجس:

الرجز غير الرجس، الرجس التجس والتجس والقدّر، الرجز العذاب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجَرٍ أَلِيمٍ (11)

(سورة الجاثية)

أي عذاب، (مِّنَ السَّمَاءِ) أي الصواعق، الرياح القوية.
(رَجْرًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) الباء للسبب، أي بسبب فسقهم، والفسق نوعان: فسق ضد الإيمان وهذا قد يُدخل النار، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَمَّا الَّذِينَ فَتَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ دُفُّوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (20)

(سورة السجدة)

الفسق في الأصل هو الخروج عن المنهج، والزطبة عندما تفسق تخرج قشرتها عن لبّها، والحشرات الفواسق لأنها تخرج من جحرها وتفعل أذاها، فيحل قتلهم في الحلّ والحرم، الفواسق الخمسة.
والفسق الآخر ضد العدالة، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ فَاكْفُرُوا بِهِ فَأَسْوَءُ بُيُوتٍ فَتَنَ تَوَصَّيْتُمْ لَهَا فَلَا يَصُدَّقُ بِهَا عِلْمٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُجْرِمُونَ (6)

(سورة الحجرات)

هذا فسق أصغر، أي غير عدل، رجل يتكلم بأي شيء يسمعه فهذا فاسق، ليس فاسق بمعنى أنه خارج عن منهج الله، أي غير عدل، أي كلامه قد لا يُصدق قد يكذب فيه (إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ فَاكْفُرُوا بِهِ).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ نَضِيبًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (60)

(سورة البقرة)

الاستسقاء سُتَّةُ الأنبياء:

اسْتَسْقَى طلب الشفيا، واستطعم طلب الطعام، واستشفى طلب الشفاء، كل فعل أوله همزة وسين وتاء، بمعنى الطلب في الأعم الأغلب، إلا في حالات نادرة (اسْتَشْفَى) طلب الماء (وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ) والشفيا أو الاستسقاء سُتَّةُ الأنبياء، ونبيا صلى الله عليه وسلم استشفى لقومه:

{ بَيْنَمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِذْ قَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْكَ الْكُرَاعُ، وَهَلْكَ الشَّاءُ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَسْقِيَنَا، فَمَدَّ
بِيَدِهِ وَدَعَا }

(أخرجه البخاري ومسلم)

فلاستسقاء سُنَّةٌ من سُنَنِ الْأَنْبِيَاءِ، وموسى عليه السلام استسقى لقومه، أي طلب الشُّقْيَا لهم، وكل ما تتحدَّث عنه الآن حصل في سنوات التيه، السنوات الأربعين:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۖ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۖ يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (26)

(سورة المائدة)

في صحراء سيناء، فطلب لهم الماء.

عصا موسى عليه السلام كان لها أربعة مواقف:

(فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْخَجَرَ) هذه العصا عصا موسى عليه السلام كان لها أربعة مواقف، الموقف الأول ليس بالترتيب أي كل المواقف، الموقف الأول صَرَبَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (63)

(سورة الشعراء)

هي العصا نفسها لأنها أصبحت عصا معهودة بالذهن، العصا يتحدَّث عنها الله تعالى، والعصا تحولت إلى أفعى، والعصا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (117)

(سورة الأعراف)

ألقاها فأخذت سحر فرعون كاملاً، وهُنا ضرب بها الحجر **(فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ نَضِيبًا)** هُنا قال: فأنفجرت، في الأعراف:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْخَجَرَ ۖ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ نَضِيبًا ۖ
قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ وَطَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّانَ وَالسَّلَوى ۖ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا
أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (160)

(سورة الأعراف)

الانفجار هو التبعثر والانفتاح، الانشقاق ثم التبعثر، الانبجاس هو أول الانفجار، أول ما ينفجر يُسمَّى انبجست، ثم يتبعثر فيُسمَّى انفجاراً، فذكر المولى: (فَانفَجَرَتْ) وذكر:

(فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا) لَأَنَّ الْأَسْبَاطَ اثْنَتَا عَشْرَةَ سِبْطَةً، فكل سبط أي كل فخذٍ أو قبيلةٍ لها مشربٌ (فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا) □ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ) كل قبيلةٍ لها مشربٌ.

(كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ).

أي خروج عن منهج الله تعالى هو إفساد:

تعنوا في الأرض، العنوا هو شدة الإفساد، أي لا تُفسدوا في الأرض بعد إصلاحها، الله تعالى أباح لك ما في الأرض، ممكن أن نقول هناك إفساد بيني (فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا) إذا كل واحدٍ يشرب من الماء ثم سيلقي بنفاياته في الماء فهذا إفسادٌ، من هنا يبدأ الإفساد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
طَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (41)

(سورة الروم)

وإذا كان يُفسد المرأة فيخرجها عن طبيعتها إفساد، وإذا كان يُسرف في الطعام إفساد، وإذا كان يُبذّر يُفوق في الحرام إفساد، فأى خروج عن منهج الله تعالى هو إفساد، تحدّثنا عن ذلك بالتفصيل في مطلع سورة البقرة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (11)

(سورة البقرة)

وقلنا إنّ الإفساد هو أن تصع الشيء في غير موضعه، وضربنا مثلاً وقتها إذا وضعت الشكر مع الأرز في الطبخ أفسدته، وإذا وضعت الملح مع الحلويات أفسدتها، الملح مهم والشكر مهم، لكن وضعه في غير موضعه يُفسد، فالله تعالى خلق المرأة أمّاً، بنتاً، أختاً، عمّة، خالّة، جدّة لها مكانتها لها موضعها في البيت، فأفسدوها أخرجوها عن مهمتها وقالوا لها: يجب أن تعمل، وهناك أعمال لا تناسب أنوثتها، ثم جعلوها إعلاناً، صوّروها ووضعوها على مُنتجاتٍ حتى يبيعوا للناس، أفسدوها لأنهم وضعوها في غير موضعها، وكل شيءٍ يوضع في غير موضعه يفسد ويُفسد، فقال: (وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ).

طبيعة بني إسرائيل وقوم موسى أنهم كثيرو التذمّر والسؤال:

لكن طبيعة بني إسرائيل وطبيعة قوم موسى، أنهم كثيرو التذمّر وكثيرو السؤال، ويسألون عن أشياء كثيرة، أهلكهم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم، فما أعجبهم ذلك، كل هذا الإكرام المَنّ والسُلوى، والماء تبع، وكل شيءٍ لكنهم لم يقبلوا بذلك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِئُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَتَصَلِّهَا □
قَالَ أَتُسْتَبَدَّلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبِطُوا مَصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ □ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَتَاءَوُوا بَعْضٌ مِّنَ اللَّهِ □
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ الْحَقِّ □ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (61)

(سورة البقرة)

مَنّ وسُلوى كل يوم؟ غسل كل يوم؟ نريد القليل من الخل، الإنسان عندما يُبالغ في الدنيا ويستهدفها لا يُعجبه شيء، الدنيا إذا استهدقت، ما معنى استهدقت؟ أي لم تُستخدم مطيعةً، أصبحت هي مبلغ العلم.

{ قَلَّما كان رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقومُ من مجلسٍ حتى يدعُو بهؤلاءِ الدَّعَواتِ لِأَصْحائِهِ: اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ ما تحوَّلَ بِهِ بَيْنَنا وبينَ معاصِكَ، وَمِنْ طاعَتِكَ ما تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنْ اليقينِ ما تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مِصائِبَ الدُّنيا، اللَّهُمَّ مَنَّنا بِأَسْماعِنا، وَأَبْصارِنا، وَقَوَّينا ما أُخْيِيتَنا، واجْعَلْهُ الْوارِثَ مِنّا، واجْعَلْ ثَأْرَنا عَلَيَّ مَنْ ظَلَمَنا، وانصُرْنا عَلَيَّ مَنْ عاذاَنا، ولا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنا في دينِنا، **وَلَا تَجْعَلِ الدُّنيا أَكْبَرَ هَمِّنا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لا يَرْحَمُنَا** }

(أخرجه الترمذي والنسائي والطبراني)

لَمَّا يُصَيِّح الإنسان أكبر هَمِّه الدنيا ومبْلَغِ علمه الدنيا، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى (30)

(سورة النجم)

أَيُّ مُتَعَةٍ تُسْتَهْدَفُ بِذَاتِها تَنْقَلِبُ إِلَى أَلَمٍ:

هذا ما يعرفونه، أي مُتَعَةٍ تُسْتَهْدَفُ تَنْقَلِبُ إِلَى أَلَمٍ، أي مُتَعَةٍ تُسْتَهْدَفُ بِذَاتِها بعد حين تُصَيِّحُ صَيْحاً مألُوفاً، وقد تُصَيِّحُ أَلَمٌ بدلاً من أن تكون مُتَعَةً، الغرب والعباد بالله لَمَّا اسْتَهْدَفَ الشهوة وجعلها هي مُنتهى الآمال شهوة المال والنساء، لم يَغْدُ يُعْجِبُهُ شَيْءٌ، فانتقل كما فعل قوم لوط والعباد بالله، ثم انتقلوا والعباد بالله إلى البهائم كما نسمع، لأنَّ اللذة عندما تُسْتَهْدَفُ لذاتها وليست سبباً لما بعدها، تُهْلِكُ الإنسان والعباد بالله، تُهْلِكُهُ شهوته، أمَّا المُسْلِمُ بأخْذٍ مِنَ الدُّنيا ويتمتّع بها لكنه لا يَسْتَهْدَفُها، يَسْتَهْدَفُ الآخرة، ويجعل الدنيا مطيعة الآخرة، فلا يَخْرُجُ عن منهج الله تعالى، يَغْضُ بصره عن الحرام، يكتفي بما أحله الله تعالى له، ولا يَسْتَهْدَفُ المُتَعَةَ لذاتها، لذلك ورد في بعض النصوص:

{ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَعَثَ بِهِ إِلَى الْيَمَنِ قَالَ لَهُ إِنَّكَ وَالْتَّعَمُّ فَإِنَّ عِبَادَ اللَّهِ لَيْسُوا بِالْمُتَنَعِّمِينَ }

(أخرجه أحمد والبيهقي)

أي لا يستهدفون التمتع يعني الرفاهية لذاتها، إذا رُبُّنا أكرمنا بشيءٍ أتفجع به، لكن أنا ليس هدفاً لي التمتع فقط، هدفي هو الله ورضا الله تعالى، فلم يُعْجِبهم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ قُلْنَا لِمُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِئُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِها وَقَفَّائِها وفُومِها وَعَدَسِها وَبَصِلِها □ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ □ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا يُعْصَبُ مِّنَ اللَّهِ □ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ يَغْيِرُ الْخَوَّ □ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (61)

(سورة البقرة)

(يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا) هذه اليمين للتبويض، يعني من بعض مما تُنْبِئُ الأرض، من الثانية: (مِنْ بَقْلِها) تُسمِّيها في اللغة من بانية، أي ما هي الأشياء؟ قال: (مِنْ بَقْلِها) والبقل هو كل نبات ليس له ساق، فإذا كان له ساقٌ سُمِّيَ شجرةً، يعني الكُرَّاتِ والذي هو البراصيا بلغة أهل الشام، والبقلة، والنعنع كل هذا اسمه بقلٌ (مِنْ بَقْلِها)، (وَقَفَّائِها) أي الخيار، (وفُومِها) النوم، (وَعَدَسِها وَبَصِلِها) المعروفان، (قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ) رَبُّنا جَلَّ جلاله أعطاكم نعمًا عظيمة ثم تُريدون الأشياء البسيطة؟! (وَقَفَّائِها) النوم، (وَعَدَسِها وَبَصِلِها) المعروفان، (قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ) أي تتركون الذي هو خيرٌ وتأخذون الذي هو أدنى، وهذا من قِلة عقلكم وقلة فهمكم.

بنو إسرائيل تركوا الذي هو خير وأخذوا الذي هو أدنى:

(أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ) والباء في اللغة تدخل دائماً على المترك، ما هو الذي تركوه؟ الذي هو خير، تدخل عليه الباء، فأنت إذا كان عندك سيارة قديمة وتريد أن تشتري سيارة جديدة، فيقول: استبدلْ سيارةً جديدةً بسيارتِي القديمة، التي تركتها تضع فيها الباء، باللغة العامية يضعوا الباء بالذي أخذته، لا، الباء تدخل على المترك (أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ) أي تتركون الذي هو خيرٌ وتأخذون الذي هو أدنى، وهذا من قِلة عقلكم وقلة فهمكم.

معنى (اهبطوا مصرًا):

(اهبطوا مصرًا) هل مصرٌ يعني مصر البلد المعروف؟ لا، ما الذي دلّنا على ذلك؟ دلّنا على ذلك أنّ مصرًا جاءت منونة، أي غير ممنوعةٍ من الصرف، يعني اهبطوا بلدًا، يعني أي بلدٍ من البلاد تُريدونه انزلوا إليه، من مرتبةٍ أعلى إلى مرتبةٍ أدنى انزلوا، أمّا لَمَّا رُبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ ذكر مصر بذاتها فقال جلّ جلاله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ يُثُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۚ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (87)

(سورة يونس)

منعها من الصرف، أي مصر التي هي مصر التي تُسمّى مصر إلى اليوم (بِمِصْرَ يُثُوتًا) أمّا (اهبطوا مصرًا) مُنُونَةٌ أي غير ممنوعةٍ من الصرف، ما معنى ممنوع من الصرف؟ أي لا يُنَوَّن، ويُجَرُّ بالفتحة نيابةً عن الكسرة، هذا هو الممنوع من الصرف، أي لا يأخذ التنوين.

أحد النحويين جاء إليه طالبه فطرق الباب، قال: من الباب؟ قال: أحمد، وأحمد اسمٌ ممنوعٌ من الصرف لأنه على وزن الفعل أفعل، فقال: من الباب؟ قال: أحمد، قال: انصرف، لا يُريد أن يستقبله، قال: اسمي لا ينصرف، قال: أضفه وانصرف، لأنّ الممنوع من الصرف إذا أضيف وجاء بعده مضاف إليه ينصرف، فقال: أضفه وانصرف، لا يُريده.

فمصرًا هنا مصروفة، ولمّا كانت مصروفة إذاً هي بلدٌ من البلدان.

معنى (وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ):

(اهبطوا مصرًا) أي بلدًا من البلدان (فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ) موجود ما تُريدونه: البقل، والقنّاء، والفوم، والعدس، والبصل، قال: (وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةَ) والعياذ بالله، أي الدَّلَّةُ والهوان، وهذا أعظم ما يُصيب الإنسان، ثم قال: (وَالْمَسْكَنَةُ) والمسكنة هي الفقر، من المسكين ومن السكون، لأنّ المسكين لا يجد رزقه لا يتحرك، عنده إشكال، فسُمِّيَ مسكيناً لأنه ساكن، لا يتحرك لِرزقه (وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ وَتَاءُوا) أي رجعوا، وتُطْلَقُ تَاءُوا غالباً على الرجوع بالشرّ وليس بالخير، يعني لا يقول: بَاءَ بِمَغْفِرَةٍ وإنما بَاءَ بِسُوءٍ.

(وَتَاءُوا يَعَصِبُ مِنَ اللَّهِ) والعياذ بالله (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ) بَاءَ السبب، أي لماذا ضَرَبْتَ عليهم الدَّلَّةَ والمسكنة؟ لأنهم (كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ) لا يؤمنون بآيات الله.

(وَيَقُولُونَ النَّبِيُّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ) النبيين قراءة، وهناك قراءة متواترة: النبيين من النبا، والنبي عنده نبأ عظيم يأتي بالنبأ من الله، أو النبيين من التوبة وهي ما ارتفع من الأرض، لمكانة الأنبياء عند الله، فالنبيء فيها معنى زائد وهو النبا، والنبيين فيها معنى آخر وهو التوبة، وهو ما ارتفع من الأرض، لأنّ الأنبياء لهم مكانةٌ كبيرةٌ عند الله تعالى.

معنى (وَيَقُولُونَ النَّبِيُّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ):

(وَيَقُولُونَ النَّبِيُّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ) هل هناك قتلٌ للنبيين بحق؟! قال: نحن قتلنا النبيين لكن بحق! لا، هذا القيد ليس قيداً احترازياً هذا قيدٌ وصفي، أي كل قتلٍ للأنبياء فهو بغير حقٍّ، نحن باللغة عندنا قيدٌ احترازي وقيدٌ وصفي، القيد الاحترازي:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا بُرَهِيمَ ۚ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۚ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ التَّيْبَةِ مِنْ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ عَنِي عَنِ الْعَالَمِينَ (97)

(سورة آل عمران)

وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ لا حجّ عليه.

رُبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ قال في القرآن عن الرائب، الريبة التي يحُزَمُ الزواج منها، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
حُزِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّائِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَزَبَانِيكُمُ اللَّائِي فِي خُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ اللَّائِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَخَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (23)

(سورة النساء)

وإن لم تكن الربيبةُ في جِري فهل يحلُّ لي أن أتزوجها؟ لا، هذا قيدٌ وصفي خرَجَ مخرَجَ الغالب، أي في الغالب أنَّ الربيبة تُربى في بيت أمها، أو هكذا ينبغي أن يكون، أن تُربى في بيت زوج أمها مع أمها، هكذا ينبغي أن يكون، فالفقهاء الأربعة على أنَّ الربيبة تحرم وإن لم تُربى في بيت زوج أمها، وخالف في ذلك الظاهرية ابن حزم فقال: **(اللائي في حُجُوركم)** القيد هنا احترازي، أي إن كانت في غيرها لا تحرم، وهذا طبعاً خلاف الصحيح لا يصح ذلك، الربيبة تحرم على زوج أمها، سواءً رُبِّت في حجره أو في غير حجره. فهنا أيضاً القيد وصفي وليس احترازياً، أي كل قتلٍ للأنبياء فهو بغير الحقِّ، لا يُقتل الأنبياء بحقٍّ معاذ الله **(وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ) ٥** ذَلِكَ يَمَّا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ). هذا والله تعالى أعلم، والحمد لله ربِّ العالمين.

الدعاء:

اللهم اغفر لنا وارحمنا، وعافنا واعفُ عَنَّا، وإلى غيرك لا تكلنا، ومن شرور أنفسنا نجِّنا وسلِّمنا، وعلى الإيمان الكامل والكتاب والسُّنة توقِّنا، نلُفَكَ وأنت راضٍ عَنَّا، والحمد لله ربِّ العالمين.